مقياس : مدخل الى تاريخ الحضارة الاسلامية

السنة : الأولى علوم إنسانية

السداسي : الثاني

الرقم	عنوان المحاضرة	
01	تعريف الحضارة الاسلامية	
02	جغرافية الحضارة الاسلامية	
03	مصادر تاريخ الحضارة الاسلامية	
04	الحواضر الاسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس	
05	علوم الطب والصيدلة في الحضارة الاسلامية	
06	علم الفلك والإسطرلاب	
07	علم الكيمياء وعلم الرياضيات والبصريات	
08	العمارة الاسلامية	
09	القوانين والأنظمة الاجتماعية	
10	الأسواق في الحضارة الاسلامية	
11	الفنون الاسلامية	
12	الحرف والصناعات	
13	أثر الحضارة الاسلامية على أوربا	
10	تراجم لأشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية	

المحاضرة الرابعة : الحواضر الاسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس

أ/ حواضر المشرق الإسلامي :

1 ـ مدينة دمشق :

بعد الفتح الإسلامي للشام عُرفت المدينة بالكثير من الأسماء، منها دمشق الشام تمييزاً لها عن مدينة غرناطة في الأندلس التي سُميت أيضاً دمشق العرب، وذاتَ العِماد لكثرة الأعمدة في أبنيتها، وباب الكعبة لوُجودها على طريق مكة، والفَيْحَاء لاتساعها ورائحتها الزكية، بالإضافة إلى عدة أسماء وألقاب أخرى منها جِلَّق وحصن الشام وفسطاط المسلمين. كما تُسمَّى أيضاً الشام، على طريقة تسمية الفرع باسم الأصل. يُوجد خلاف كبيرٌ وافتراضات عديدة بشأن أصل اسم دمشق نفسه وطريقة اشتقاقه في العربية؛ فأنصار الجذر العربي للاسم يرونه ناجمًا عن مصطلح دَمْشَقَ في العربية القديمة أي «إذا أسرع»، ولذلك يُقال أن المدينة سُميت باسمها لأن «أبناءها دَمْشَقوا – أي أسرعوا – في بنائها». أما غالب المؤرخين الذين أعادوا اللفظة لكونها سريانية، أو لاتينية، لا العربية، فيرون أنه اشتق من كلمة دُومَسْكَس بمعنى المسك أو الرائحة الطيِّبة، فيما يَرى آخرون أنها سُمِّيت تيمناً بالقائد اليونانيّ دماس الذي أسَّسَ المدينة، ونظراً إلى ذكر المدينة في رسائل تل العمارنة والكرنك في مصر باللغة الهيروغليفيِّة تحتَ مُسمَّى دِمَشْقُوا ودَمْشَقَا؛ كما ساد الاعتقاد بأن الكلمة مشتقة من اسم أحد أحفاد النبي نوح دَمَاشِق.

في سنة 12 هـ / 635م فتح خالد بن الوليد دمشق سلمًا بعد ستة أشهر من الحصار، ومنح في إثرها الأمان لسكانها حسب صكّ التسليم المبرم بينه وبين أسقفها سرجون بن منصور؛ وهو الصك الذي استسلمت بموجبه سائر المدن السورية؛ وفي العام التالي (13هـ/636م) وقعت معركة اليرموك الحاسمة في تاريخ فتوح الشام. بعد الفتح استقرّ الولاة في دمشق، وبذلك انتقلت عاصمة البلاد من أنطاكية إليها؛ وبعد أربع سنوات من الفتح عيّن معاوية بن أبي سفيان واليًا على دمشق، خلفًا لأخيه يزيد بن أبي سفيان؛ وخلال فتنة مقتل عثمان أعلن معاوية التمرد على الخليفة علي بن أبي طالب، واستقلّ بحكم الشام، وبسط نفوذه في مصر عبر عامله عمرو بن العاص، وبعد خمس سنوات من القتال، انتهت الحرب في عام الجماعة (40هـ) بإعلان الدولة الأموية وعاصمتها دمشق؛ وبذلك يكون معاوية قد حكم دمشق أربعين عامًا عشرون منها كوالي، وعشرون أخرى كخليفة.

وبنى الوليد الجامع الأموي وأسرف في تزينه بالفسيفساء، وكذلك الحال في حلب، وكان الجامع الأموي مسجد دمشق الوحيد داخل الأسوار إلى جانب مصليين صغيرين خارجها، ولم يبن الأمويون سواهم. ونتيجة هذا الازدهار استقر حولها على ضفاف نهر بردى عدد من القبائل، وشقّ «نهر يزيد» من نهر بردى لتأمين الريّ لمساحة أكبر من الأراضي؛ كما اهتمّ الوليد أيضًا بالطرقات وربط المدن بعضها ببعض لا سيّما بين دمشق والبادية، حيث شيّد الأمويون ما يزيد عن عشرين قصرًا للتنزه وممارسة الرياضات المختلفة، وشهدت المدينة بالتزامن مع ذلك نهضة ثقافيّة. وبعد وفاة هشام أصيبت الدولة بالتصدع، وتعاقب عليها ضعاف الخلفاء، واندلعت فيها فتن دامية بين العرب من القيسية واليمنية، وخلع البيت الأموي نفسه خليفتين، ونقل مروان بن محمد آخر الأمويين، عاصمته إلى حران، ولم يتوقف تداعي صرح الدولة في عهده، وبختام العصر الأمويّ زال عهد دمشق الذهبي.

2 ـ مدينة بغداد :

ذكر الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) أن أبا جعفر المنصور بويع بالخلافة عام 136هـ، وأنه شرع في وضع أساس المدينة عام 145، وأنه أحضر المهندسين وذكر لهم صفة المدينة التي يرجوها، واستدعى إليه من كل بلد أهل المعرفة بالبناء والعلم بالزرع والمساحة وقسمة الأرضين والبنائين والصناع من الحدادين والحفارين والنجارين حتى اجتمع لديه على ما قيل نحو مائة ألف من أرباب المهن والصناعات، وحدد لهم رواتب وأجور معلومة.

وقد افتتح المنصور البناء في حفل مشهود حضره كبار رجال الدولة، ووضع أول لبنة بيده وقال "بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم أمر عماله بأن يبدأوا في البناء على بركة الله"، وكان تخطيطها دائريا وقال اليعقوبي لم يعرف مدينة مستديرة سواها وأنها بنيت على هذه الهيئة لئلا يكون الخليفة إذا نزل وسطها إلى موضع أقرب منه إلى موضع، وقد أحيطت البلدة بسورين لكل منهما أربعة أبواب، كان يلج منها القادمون إليها من الجهات المختلفة.

كانت بغداد موضع عناية الخلفاء واتخذوها حاضرة لخلافتهم ولم يبخلوا عليها حتى صارت" ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء" كما

وصفوها اليعقوبي، وليس في قوله مبالغة إذ روى لنا المؤرخون ما يدعم هذا القول فكان للمدينة قصورها وحدائقها الفريدة وملاهيها وأسواقها وما إلى ذلك من مظاهر التحضر والعمران.

3 ـ مدينة خراسان :

كلمة مركبة من (خور) أي: شمس، و(اسان)، أي: مشرق، كانت مقاطعة كبيرة من الدولة الإسلامية، حدودها مما يلي العراق ، وآخر حدودها، مما يلي الهند ، ومن أطراف حدودها طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، ومن أهم مدنها: نيسابور وهراة، ومرو وبلخ وطالقان ونسا، وأبيورد وسرخس، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية (نيسابور)، و أفغانستان الشمالية (هراة وبلخ)، ومقاطعة تركمانستان (مرو).

فتح خراسان:

يعد فتح خراسان من كبرى فتوحات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بلاد فارس، فبعد معركة نهاوند عام 21هـ / 643م والتي كانت معركة حاسمة انتصر فيها المسلمون على الفرس انتصارا مؤزرا، حيث أطلق المسلمون عليها فتح الفتوح قرر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدها –حسب رأي الأحنف بن قيس رضي الله عنه– الانسياح في بلاد فارس، ودفع قوات المسلمين إلى أنحاء تلك المملكة كلها، فعقد سبعة ألوية لسبعة من القادة عهد إليهم فتح أرض فارس كلها.

الحركة العلمية في خراسان:

شهد فتوحات بلاد خراسان الكثير من الصحابة والتابعين ، وحبذ بعضهم الاستقرار فيها حتى وفاته. قال الحاكم : "نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها بريدة بن حصيب الأسلمي، مدفون بمرو، وأبو برزة الأسلمي والحكم بن عمرو الغفاري، وعبد الله بن خازم الأسلمي المدفون بنيسابور، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند" ، ومن أهم مدن خراسان :

شيراز:

بالكسر، وآخره زاي، بلد عظيم مشهور معروف مذكور وهو قصبة بلاد فارس. وتقع الآن جنوبي أصبهان، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء في كل فن، ومن محدثيها: الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان القاضي الشيرازي، توفي سنة 272هـ.

بلخ :

مدينة مشهورة بخراسان وهي من أجل مدن خراسان، وأذكرها، وأكثرها خيراً، وأوسعها غلة وتقع على نهر يعرف باسمها. وهي إلى الغرب من مدينة مزار شريف– حيث دفن فيه على ما يقال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه – وهو كذب صريح – على مسافة مائة كيلومتر تقريباً، وينسب إليها خلق كثير منهم :محمد بن علي بن طرخان بن عبد الله أبو بكر البلخي البيكندي، وكان حافظاً للحديث حسن التصنيف توفي سنة 278هـ، والحسن بن شجاع الحافظ وغيرهما ؛ وهي من المدن الأفغانية المهمة في الوقت الحاضر.

قزوين :

مدينة مشهورة، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا.(5.76 كلم) وتقع قزوين في الوقت الحاضر على نحو مائة ميل شمال غربي طهران، وهي في أسفل الجبال العظيمة، وينسب إليها خلق لا يحصون، ومنها محمد بن سعد ابن سابق الرازي القزويني، والطنافسي، وعمرو بن رافع، وابن ماجه، وخلق غيرهم .

ب/ حواضر المغرب الإسلامي :

1 ـ القيروان:

يعود تاريخ القيروان إلى عام 50هـ / 670 م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع. وكان هدفه من هذا البناء أن يستقر بها المسلمون، إذ كان يخشى إن رجع المسلمون عن أهل إفريقية أن يعودوا إلى دينهم. وقد جمع عقبة بن نافع بعد وانتهائه من بناء مدينة القيروان وجوه أصحابه وأهل العسكر فدار بهم حول مدينة القيروان، وأقبل يدعو لها ويقول في دعائه: اللهم املأها علما وفقها ، وأعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك، وأعز بها الإسلام، فلما أرسى

عقبة بن نافع قواعد مدينته الجديدة، لم يكن يدري وهو يدعو ربّه ليمنعها من جبابرة الأرض ويملأها فقهاً وعلماً ويجعلها عزّاً للإسلام أيّ مصير تخبِّئه لها الأيام، إلا أنه استراتيجياً كان موفَّقاً في اختياره، فالقيروان توجد على مسيرة يوم من البحر الذي كان البيزنطيون يسيطرون على عبابه، وهي تبعد بمثل ذلك عن الجبال، حيث كانت آنذاك تعتصم القبائل البربرية المناوئة للإسلام، وتمثل القاعدة المحدثة رأس الحربة وسط خط المواجهة المتخذ بين المسلمين والبيزنطيين، بعد انهزام ملكهم جرجير في "سبيطلة" أمام جيوش معاوية بن حديج سنة 45هـ ، 665م وتراجع سلطانهم وانحصاره في شمال البلاد.، بجانب ذلك فالقيروان في منبسط من الأرض مديد يسمح باستنفار الفرسان في غير صعوبة ، وقد كانت الخيل قوام جيش المسلمين في جُلّ معاركهم وحروبهم المصيرية ، وقد راعى عقبة في اختياره لموقع مدينته الجديدة تقريبها من السبخة حتى يوفّر ما تحتاجه الإبل من المراعي، وتسمية القيروان تستجيب للغرض الأصلي من تأسيسها فهي كلمة معرَّبة عن اللغة الفارسية وتعني المعسكر أو القافلة أو محط أثقال الجيش.،

ولا ريب أن مختلف الحملات والغزوات التي سبقت بناء القيروان كانت تمر بالموقع، وتتّفق المصادر على أن معاوية بن حديج قد عسكر خلال إحدى حملاته الثلاث على إفريقيّة بالموضع المعروف بالقرن على بعد عشرة كيلومترات شمال غربي القيروان، كما تذكر كتب الطبقات أن الصحابي أبا زمعة البلوي قد استشهد خلال غزوة معاوية بن حديج الأولى العام 34هـ ، 654م وهو محاصر لجلولاء، فأُخذ ودُفن بموضع القيروان

المكانة العلمية للقيروان:

كانت القيروان أولى المر اكز العلمية في المغرب يليها قرطبة في الأندلس ثم فاس في المغرب الأقصى ولقد قصدها أبناء المغرب وغيرها من البلاد المجاورة. وكان مسجد عقبة الجامع ومعه بقية مساجد القيروان تعقد فيه حلقات للتدريس وأنشئت مدارس جامعة أطلقوا عليها (دور الحكمة). واستقدم لها العلماء والفقهاء ورجال الدعوة من الشرق فكانت هذه المدارس وما اقترن به إنشاؤها من انصراف القائمين عليها للدرس والبحث عاملا في رفع شأن لغة القرآن الكريم لغة العرب وثقافتهم.

ولقد كان للقيروان دور كبير في نشر وتعليم الدين وعلومه بحكم ما علق على هذه المدينة من آمال في هداية الناس وجلبهم إلى إفريقية وهي نقطة هامة لاحظها الفاتحون منذ أن استقر رأيهم

على إنشاء مدينة القيروان، فعندما عزم عقبة بن نافع ومن معه على وضع محراب المسجد الجامع فكروا كثيرا في متجه القبلة، وراقبوا طلوع الشمس وغروبها عدة أيام. وقال له أصحابه: إن أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمه. واجتهد عقبة بن نافع. وكان موفقا في اجتهاده. وأصبح محراب القيروان أسوة وقدوة لبقية مساجد المغرب الإسلامي بمعناه الواسع حتى إن محمد بن حارث الخشني بعد أن قدم من القيروان إلى سبتة وشاهد انحراف مسجدها عن قبلة الصلاة عدله وصوبه.

وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ / 717 -720م) أراد تثقيف أهل المغرب وتعليمهم أمر دينهم فجعل من مدينة القيروان مركزا للبعثة العلمية المكونة من عشرة أشخاص من التابعين فأرسلهم إلى إفريقية حيث انقطعوا إلى تعليم السكان أمور الدين، ومات غالب أفراد البعثة في مدينة القيروان نفسها.

وهكذا أصبحت مدينة القيروان مركزا للعلم في المغرب الإسلامي حتى كانت مفخرة المغرب. ومنها خرجت علوم المذهب المالكي، وإلى أئمتها كل عالم ينتسب وكان قاضي القيروان يمثل أعلى منصب ديني في عموم البلاد المغربية، وإليه المرجع في تسمية قضاة مختلف الجهات.

و أسهمت القيروان في عهد الأغالبة في نشر المذهب المالكي في أرجاء الدولة الأغلبية، ومنها انتشر في صقلية والأندلس. وقد تم ذلك على يد الإمام سحنون (160-240هـ / 777 - 855م)، وأقرانه وتلاميذه. فهؤلاء كانوا يلتزمون المذهب المالكي، إذ أنهم كانوا يذهبون لأداء فريضة الحج، ثم يلزمون الإمام مالك بن أنس في المدينة المنورة، فتأثروا بفقهه. وقد ولي سحنون قضاء القيروان (234-240هـ / 848 -854 م)، فكان صاحب النفوذ الأكبر لا في شئون القضاء فحسب، بل في جميع شئون الدولة. ولما عاد سحنون من المدينة المنورة كان قد وضع أسس الكتاب الذي دونه ويسمى المدونة التي أصبحت قاعدة التدريس في المغرب الأدنى، ومن هناك انتقلت إلى الأندلس.

وكانت الكتب الفقهية التي ألفها علماء القيروان ابتداء من كتاب المدونة لصاحبه الفقيه الكبير سحنون والذي أصبح مرجعا دينيا لرجال القيروان، إلى رسالة ابن أبي زيد ونوادره وزياداته إلى تهذيب أبي سعيد البراذعي، كانت هذه الكتب وأمثالها عمدة الدارسين والشراح والمعلقين لا يعرفون

غيرها إلى المائة السابعة من التاريخ الهجري عندما ابتدأت كتب المشارقة تأتي إلى المغرب مثل مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل فيما بعد.

بيت الحكمة:

أنشئت في القيروان المكتبات العامة والمكتبات الملحقة بالجوامع والمدارس والزوايا وكانت مفتوحة للدارسين وتضم نفائس أمهات الكتب. ومن أشهر مكتبات القيروان بيت الحكمة الذي أنشأه الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي 261-289هـ / 875 -902م. في "رقادة" بالقيروان محاكاة لبيت الحكمة التي أسسها هارون الرشيد في بغداد حيث كانت هذه البيت نواة لمدرسة الطب القيروانية التي أثرت في الحركة العلمية في المغرب لزمن طويل.

وقد استقدم الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي أعدادا كبيرة من علماء الفلك والطب والنبات والهندسة والرياضيات من المشرق والمغرب وزوده بالآلات الفلكية. وكان الأمير إبراهيم بن أحمد يبعث كل عام (وأحيانا كل ستة أشهر) بعثة إلى بغداد هدفها تجديد ولائه للخلافة العباسية واقتناء نفائس الكتب المشرقية في الحكمة والفلك مما لا نظير له في المغرب واستقدام مشاهير العلماء في العراق ومصر. وعلى هذا النحو أمكنه في أمد قصير أن يقيم في "رقادة" نموذجا مصغرا من بيت الحكمة في بغداد، ولم يلبث هذا البيت أن وقع في أيدي العبيديين -الفاطميين- بعد سنوات معدودة من وفاته.

ولقد كان بيت الحكمة معهدا علميا للدرس والبحث العلمي والترجمة من اللاتينية، ومركزا لنسخ المصنفات، وكان يتولى الإشراف عليه حفظة مهمتهم السهر على حراسة ما يحتويه من كتب، وتزويد الباحثين والمترددين عليه من طلاب العلم بما يلزمهم من هذه الكتب حسب تخصصاتهم، ويرأس هؤلاء الحفظة ناظر كان يعرف بصاحب بيت الحكمة.

وأول من تولى هذا المنصب عالم الرياضيات أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني الكاتب المعروف بأبي اليسر الرياضي، وهو بغدادي النشأة، حيث أتيح له أن يلتقي بالعديد من المحدثين والفقهاء والأدباء واللغويين. وكان قد تنقل في أقطار المشرق قبل انتقاله إلى الأندلس وأخيرا استقر بالقيروان، وكان الأمير إبراهيم بن أحمد يعقد المجالس العلمية للمناظرة في بيت الحكمة، وكان يحضر هذه المجالس العلماء البارزون من فقهاء المالكية والحنفية.

2 ـ فاس:

يعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري، عندما قام إدريس بن عبد الله الأول مؤسِّس دولة الإدريسية عام (172هـ=789م) ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فاس، في بقعةٍ كان يرحل إليها قبائل زناتة (زواغة وبني يازغة)، ووفد إليها عشرات العائلات العربية من القرويين ليُقيموا أول الأحياء في المدينة، الذي عرف باسم "عدوة القرويين"، كما وفد إليها الأندلسيون الذين أُرغموا على الهجرة من الأندلس ليُكوِّنوا حي "عدوة الأندلسيين"، وكان هناك حيٌّ خاصٌّ لليهود وهو حيُّ الملاح.

بعد وفاة إدريس الأول بعشرين سنة أسَّس ابنه إدريس الثاني المدينة الثانية على الضفة اليسرى من النهر، وقد تعاظم دور مدينة فاس أيام إدريس الثاني وجعلها عاصمة لدولته، وقد ظلت المدينة مقسَّمة هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيدهما وجعلهما مدينة واحدة، فصارت القاعدة الحربيَّة الرئيسة في شمال المغرب للدول المتتالية التي حكمت المنطقة، بالإضافة إلى كونها مركزًا دينيًّا وعلميًّا في شمال إفريقيا، وأُسِّست فيها جامعة القرويين عام (245هـ=859م) التي كانت مقصد الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي وأوربا، وجامعة القرويين هي أقدم جامعة في العالم.

وذكر ابن غالب في تاريخه أنَّ الإمام إدريس الثاني لما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الأولى، صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه في آخر الخطبة فقال: "اللهم إنك تعلم أنِّي ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة؛ وإنَّما أردت أن تُعبد بها ويُتلى بها كتابك، وتُقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيِّك محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا، اللهمَّ وفِّق سكانها وقطَّانها للخير وأعنهم عليه، واكفهم مؤنة أعدائهم، وأدر عليهم الأرزاق، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير". فأمَّن الناس على دعائه، فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات.

وتنقسم مدينة فاس إلى ثلاثة أقسام: فاس البالي وهي المدينة القديمة، وفاس الجديد وقد بُنيت في القرن (السابع الهجري=الثالث عشر الميلادي)، خلال فترة حكم أسرة المرينيين، ما بين (677هـ=1269م)، وهو تاريخ إطاحتهم بأسرة الموحدين، و(870هـ=1465م)، وهو التاريخ الذي أطاح بهم فيه الوطاسيون ، ثم المدينة الجديدة التي بناها الفرنسيون إبَّان فترة الاستعمار، الذي بقي في المغرب في الفترة ما بين 1912 و1956م، ويُعتبر عهد المرينيين أزهى مراحل تطور مدينة

فاس؛ إذ قاموا ببناء فاس الجديد، وتحصين المدينة بسور وتخصيصها بمسجدٍ كبيرٍ، وأحياء سكنية، وقصور، ومدارس، ومارستانات، وحدائق.

المعالم الحضارية لمدينة فاس

لم يتفق المغاربة على وسم مدينة فاس بعاصمتهم الروحية والعلميَّة عبثًا؛ ففاس العتيقة تزخر بعشرات المساجد والمدارس العتيقة التي جعلتها مركزًا علميًّا مزدهرًا، تطوَّرت في حضنه مختلف العلوم الفقهية والفكرية والطبيعية وغيرها.

جامع وجامعة القرويين

وفي مقدمة هذه المعالم جامع القرويين الذي بني عام (245هـ=859م) على يد أم البنين فاطمة الفهرية القيروانية، التي يُقال إنَّها وهبت كلَّ ما ورثته لبناء الجامع، قبل أن يعمل أهل المدينة وحكام المغرب –على مدى التاريخ– على توسيع المسجد وترميمه والقيام بشئونه؛ حيث كان أهل المدينة وحكامها يقومون بتوسعة المسجد وترميمه والقيام بشئونه، وأضاف الأمراء الزناتيون بمساعدة من أمويي الأندلس حوالي 3 آلاف متر مربع إلى المسجد، وقام بعدهم المرابطون بإجراء توسعة أخرى، وتُعدُّ صومعة المسجد المربعة الواسعة أقدم منارة مربعة في بلاد المغرب العربي، وهي لا تزال في المسجد قائمةً إلى الآن من يوم توسعة الأمراء الزناتيين عمَّال عبد الرحمن الناصر على المدينة.

كما تُعتبر جامعة القرويين –التي بُنيت كمؤسَّسةٍ تعليميَّةٍ تابعةٍ لجامع القرويِّين– أقدم جامعة في العالم، وقد تخرَّج فيها ودرَّس بها الكثير من العلماء والمفكرين، أمثال موسى بن ميمون، وابن البناء المراكشي، وابن عربي، وابن رشد، وزارها الشريف الإدريسي ومكث فيها مدَّة، كما زارها ابن زهر مرَّات عديدة، ودوَّن النحوي ابن آجروم كتابه المعروف في النحو فيها، ولسان الدين بن الخطيب الذي ما زال البيت الذي أقام فيه شاهدًا على العصر الذهبي للحاضرة، وفضلًا عن العرب والمسلمين، تخرَّج من جامعة القرويين البابا سيلفستر الثاني (غربيرت دورياك الذي شغل منصب البابا من عام 999 إلى 1003م، ويُنسب إليه فضل إدخال الأرقام العربية إلى أوربا)

ولذلك اشتهرت فاس كعاصمةٍ علميَّةٍ وروحيَّةٍ للمغرب، وشكَّلت –على مدى تاريخها– مركزًا دينيًّا وعلميًّا في شمال وغرب إفريقيا، وتواصل إشعاع جامع وجامعة القرويين الى منتصف القرن

العشرين، قبل أن ينحسر الاهتمام بنظام التعليم العتيق بتشييد المؤسسات التعليمية الحديثة منذ دخول الاستعمار الفرنسي.

3 - تيهرت:

ظهرت الدولة الرستمية في فترة حاسمة من تاريخ العالم الإسلامي وخاصة بلاد المغرب الإسلامي التي كانت مسرحا للعديد من الأحداث السياسية، فبعدما انفصل المغرب عن المشرق انقسم المغرب نفسه إلى دول مستقلة منفصلة عن بعضها البعض؛ وفي هذه الفترة الغنية بالأحداث ظهرت الدولة الرستمية كإحدى نتائج التحولات الكبرى التي عرفتها المنطقة؛ والمعلوم أن الإباضية لما وصولوا إلى المغرب استطاعوا أن ينشروا أفكارهم. ولما اشتعلت الحرب في المغرب الأدنى اعتصم عبد الرحمن بن رستم بجبل يعرف بجبل سُوفَجَّج في منطقة تيهرت – بالغرب الجزائري حاليًّا–، هو وجماعته الذين اتبَعوه فرارًا من محمَّد بن الأشعث الخزاعي قائد جيوش العباسيين الموجَّهة إلى المغرب؛ ولمَّا وجدت هذه الفئة المكان الحصين قرَّرت بناء مدينة تأويهم، وتأوي مذهبهم وطموحاتهم، فأسَّسوا مدينة تيهرت (تاهرت، تيارت)، وبويع عبد الرحمن بن رستم إماماً لأوَّل دولة إسلاميَّة مستقلَّة بالمغرب الأوسط، وهكذا حقَّق عبد الرحمن حلم الإباضيَّة بتأسيس دولة يكون مذهبها الرسمي المذهب الإباضي.

حدود وجغرافية الدولة الرستمية

لم تعرف الدولة الرستمية حدودا ثابتة فقد كانت تتسع أحيانا وتتقلص أحيانا أخرى، وأما أقصى مد لها فهو ما بلغته خاصة في عهد الأئمة الثلاثة الأوائل إذ كانت الدولة تضم كافة المغرب الأوسط وأجزاء من المغرب الآدنى حيث كان يحدها شرقا سرت والدولة الأغلبية، وغربا تلمسان ونهر ملوية

الحياة الفكرية في الدولة الرستمية: كان للرستميين دور بارز في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط خاصة ولا نبالغ إذ قلنا بالمغرب الإسلامي، فقد حملت هذه الدولة مشعلا عظيما للحضارة والعلم في الشمال الإفريقي وقد اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار ومن مكتباتها المشهورة مكتبة " المعصومة " التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألف مجلد، فكانت تحوي بين رفوفها كتبا في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد، وكتبا في الطب والرياضيات والهندسة والفلك

والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة، ولم تكن كتبها مقتصرة على مذهب بعينه بل كانت تجمع مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية، ومن المكتبات المشهور الأخرى " خزانة نفوسة " الجامعة لآلاف الكتب، وكذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة.

4 ـ بجاية:

فقد تمتعت"بجاية" في ظل الحماديين بسمعة وشهرة واسعة ,استمدتها من معاهدها الثقافية المتعددة, وتجارتها الرائجة على الشاطئ الأفريقي , واستقبالها الفارين من محاكم التفتيش بالأندلس , كما اشتهرت بعد ذلك بقوتها البحرية التي دافعت بها عن شواطئ المغرب العربي كله , فساهمت من ثم في الحفاظ على الحضارية والهوية العربية الإسلامية للمنطقة ... وكان لعهود الازدهار الثقافي والانتعاش الفكري الذي شهدته (بجاية) لقرون عديدة أثر بالغ في أن تصبح قبلة العلماء وطالبي المعرفة , فخرجت العلماء , وأنجبت المفكرين والمبدعين رجالاً ونساء , ولم تفقد تلك الشهرة وذلك الدور إلا حين امتدت إليها أيدي المستعمرين فخربتها , ودمرت ماضيها الزاهر.

قلعة بني حماد :

ومدينة بجاية هي ثاني عاصمة لدولة بني حماد ، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة بـ "قلعة بني حماد" التي اختطها الأمير حماد بن زيري بن مناد بن بلكين ، في حدود عام 398هـ (1007 – 1008م) ليعلنا منها تأسيس الدولة \"الحمادية \" دولة مستقلة عن دولة \" بني زيري \" التي كان على إمارتها في ذلك الوقت باديس بن أبي المنصور بن زيري ، وهو ابن أخي حماد.

وتحدث ابن خلدون في تاريخه عن مراحل تطورها : فأشار إلى أن حماداً اتم بناءها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة , وشيد بنياتها وأسوارها , واستكثر فيها من المساجد والفنادق ، وأن الناصر بن علنّاس بني المباني العجيبة المؤنقة , وأن المنصور بني فيها قصر الملك والمنار الكوكب وقصر السلام، وذكر صاحب كتاب الاستبصار أن بني حماد ، لهم بالقلعة مبان عظيمة , وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء.واشتهرت القلعة بالفلاحة , وتربية المواشي والصناعة والنشاط التجاري , ووصف الإدريسي الجغرافي أهلها بأنهم أبد الدهر شباع ، وذلك لغناها بالحبوب

, وقد لخص ابن خلدون ما اشتهرت به القلعة في كلمات موجزات فقال : استبحرت في العمارة , واتسعت بالتمدن ، ورحل إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم , وأرباب الصنائع º لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها.

: تأسيس بجاية

ظلت قلعة بني حماد عاصمة للدولة الحمادية منذ عهد مؤسسها حماد الذي توفي سنة 419هـ وحتى عهد الناصر بن علناس بن حماد ، مروراً بعهود القائد بن حماد المتوفي سنة 446 هـ و محسن بن القائد ، الذي لم يستمر بالإمارة أكثر من تسعة أشهر , وعهد بلكين بن محمد بن حماد ، والذي يمكن اعتباره عهداً انتقالياً بين عهدي \"محسن\" و\"الناصر \" وذلك لما اكتنفه من أحداث داخلية...إلا أن \"الناصر\" كره الإقامة في القلعة بالرغم من أنها أصبحت في عهده عاصمة دولة قوية , تشتمل على ست ولايات هي : مليانة وحمزة (البويرة حالياً) ونقاوس وقسنطينة ، والجزائر ، ومرسى الدجاج ، وأشير .. فأسس بجاية , وانتقل إليها في عام 461هـ .

5 ـ تلمسان:

المؤسس يغمراسن بن زيان:

شهدت المرحلة الزيانية نشاطا كبيرا للعمارة في مدينة تلمسان، وشهدت بناء كثير من المساجد والمدارس والمباني التي ترمز لسلطة "المخزن" الخاص ببني عبد الواد على غرار "المخزن" المغربي. كما شهدت هذه المرحلة نمو طبقة برجوازية محلية جمعت بين الثروة والعلم والجاه، مما حوّلها إلى مصدر إشعاع حضاري وثقافي في الغرب الإسلامي. كما طوّرت المدينة في تلك الحقبة صناعات محلية لمنتوجات كانت تصدر إلى باقي المدن المجاورة، وبعضها إلى الجنوب الإفريقي.

وتعتبر مئذنة المنصورة كل ما بقي من معلمة دينية وتاريخية كبيرة، ويعود أصل بنائها إلى محاولة بني عبد الواد تشييد قلعة حصينة تمنع خصومهم من القضاء عليهم، لكن سلاطين بني مرين الذين كانوا يحكمون المغرب تمكنوا من السيطرة على المنصورة، واستقروا فيها لبعض الوقت، وهو ما كان كافيا ليتركوا بصمتهم الحضارية فيها، وعلى رأسها مئذنة المسجد الأكبر التي تشبه صومعة مسجد حسان الموجودة في الرباط.

فخلال حصار قواته لمدينة تلمسان ومحاولته السيطرة عليها، أمر السلطان المريني أبو يعقوب المريني عام 1303 ببناء مسجد ومئذنة المنصورة، وذلك ضمن أجزاء مدينتهم التي قاموا بتشييدها بالقرب من تلمسان، بما في ذلك القصور والمدارس والأسوار التي ترتفع 12 مترا.

النزعة التي امتاز بها يغمراسن بن زيان مؤسس دولة الزيانيين، وميله الواضح إلى الثقافة والعلوم، انعكس على المدينة التي جعلها حاضرة لدولته، فقد تميزت تلمسان باستقطابها كبار العلماء والمثقفين في العصور التي شهدت ازدهارها، كما شهدت المدينة تخريج كثير من العلماء والمثقفين الذين انتقلوا إلى أقطار أخرى لنشر العلم والمعرفة، الموقع الجغرافي للمدينة، جعلها أيضا ممرا حتميا لمختلف العلماء الباحثين عن تبادل المعرفة، سواء منهم القادمين من المشرق أو المغرب، من الشمال او الجنوب، وفي تلمسان قضى المؤرخ ابن خلدون جزءا من حياته، ومنها استلهم قسما من كتاباته التي تعتبر إلى اليوم مرجعا في العلوم الاجتماعية. وتحتفظ تلمسان بالمدرسة الخلدونية تخليدا للسنوات الثلاث التي قضاها ابن خلدون في المدينة قبل أن ينتقل إلى مدينة تيارت، حيث اعتكف لكتابة مقدمته الشهيرة.

فقد لعبت تلمسان دورا فعالا في بناء صرح التمدن في منطقة المغرب الإسلامي، وتجلى ذلك في ميادين عدة، مثل الفنون الجميلة كالموسيقى، خاصة بعد مجيئ الأندلسيين حاملين فنونهم، كالفن المعماري الذي أبدى السلاطين الزيانيين اهتماما كبيرا به من خلال تشييد القصور والمساجد والمدارس والأسوار. وأبرز المآثر العمرانية التي تحتفظ بها تلمسان هو المشور، قصر الحكم في عهد الزيانيين، و كانت مدينة تلمسان واحدة من الوجهات الرئيسة للأندلسيين بعد طردهم من طرف المسيحيين أواخر القرن الـ15 للميلاد، فقد استقر بها عدد من الأسر الغرناطية والقرطبية.

اكتسبت تلمسان كثيرا من المزايا الحضارية التي جلبها المهاجرون من الأندلس، حيث تعتبر مدينة تلمسان عاصمة للموسيقى الأندلسية، وتتميز فيها بالنمط الحوزي الذي يقترب من الشعر، لكنه انفتح في كلماته على اللغة العامية. وتحفل دواوين الحوزي بقصائد الغزل والشوق للأحبة، وكذا المديح الديني، وقصائد أخرى تتغنى بالوطن والشوق إليه.

كما نهلت المدينة من جل الحضارات الإنسانية، حيث كانت القوافل التجارية تصل إلى تلمسان آتية من الجنوب، حاملة منتوجات مثل العاج وريش النعام والبخور والذهب والعبيد، وتعود منها محملة بالحبوب والثياب والنحاس وبعض الأنواع من العقاقير والعطور. بينما كانت حركة التجارة

تنشط في اتجاه الشمال الأوروبي أيضا، موازاة مع نشاط دبلوماسي مكثف مع إمارات وممالك إسبانيا وفرنسا.

ويعتبر سيدي بومدين التلمساني واحدا من الصلحاء الذين بصموا منطقة الغرب الإسلامي، حيث طاف أرجاء المنطقة من الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط، وعرف عنه اشتغاله بالدعوة والصلاح والزهد، وتعتبر البنايات المحيطة بضريح سيدي بومدين من بين أكثر مناطق المدينة عبقا بالتاريخ، وهو الموقع الذي أقيم حول مكان دفن واحد من أكثر الشخصيات الصوفية شهرة في المنطقة، وفي الموقع توجد آثار مسجد بناه السلطان المريني أبو الحسن خلال فترة سيطرته على المدينة في القرن الـ14 للميلاد، إلى جانب بقايا القصر السلطاني الذي بني في الحقبة نفسها.

ج/ حواضر الأندلس الإسلامية :

1 ـ قرطبة:

قرطبة مدينة أندلسية تقع في غرب إسبانيا ، كانت مركزاً للحضارة الإسلامية في أوربا لقرابة خمسة قرون فقد دخل الإسلام قرطبة عام 93هـ الموافق711 م ، بقيادة طارق بن زياد الذي كان يقود جيوش المسلمين لفتح الأندلس ، وكان فتح قرطبة ميسورًا حيث أرسل طارق بن زياد قائده مغيثاً الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس، فأقبلوا نحو المدينة ليلا ونجحوا في دخول أسوار المدينة وفتح أبوابها لجيوش المسلمين ففتحت قرطبة ، وكان السمح بن مالك الخولاني هو الذي عمرها ورفعها إلى مصاف الحواضر الكبرى ، وأصبحت هذه المدينة حاضرة الأندلس الإسلامية .

في عصر الخلافة الأموية بلغت قرطبة أوج عظمتها ، وتألقها الحضاري و خاصة بعد أن أعلنها عبد الرحمن الداخل عاصمة له و جعلها مركزًا للعلم والثقافة والفنون والآداب في أوروبا كلها، وقام بدعوة الفقهاء والعلماء والفلاسفة والشعراء إليها ، في حين كانت أوروبا ما تزال غارقة في أعماق التأخر والجهل والانحطاط **قرطبة في عهد الناصر لدين الله الأموي :**

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر من بعده أصبحت قرطبة في أوج تألقها الحضاري والثقافي ، فنافست قرطبة آنذاك بغداد عاصمة العباسيين والقسطنطينية عاصمة البيزنطيين والقاهرة عاصمة الفاطميين، ووصل سفراء البلاط القرطبي بلادًا بعيدة جدًا كالهند والصين، وتقاطر على قرطبة مبعوثون ومندوبون عن أباطرة البيزنطيين وألمانيا وملوك كل

من فرنسا وإيطاليا والممالك الأخرى في أوروبا وشمال إسبانيا، وزعماء البربر ورؤساء القبائل الأفريقية.

الحكم المستنصر هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر هو أحد خلفاء الدولة الأموية بالأندلس، تولى الحكم في 3 رمضان سنة 350هـ خلفاً لأبيه عبد الرحمن الناصر ولقب بالحكم المستنصر، يمتاز عصره بازدهار العلوم والآداب في قرطبة بصورة كبيرة ، فقد كان أكثر خلفاء بني أمية حبًّا للكتب، وكان يبعث رجالا بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس، وأنشأ مكتبة قرطبة التي وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف مجلد.، وقد شهد التعليم في عهد الحكم نهضة عظيمة، فانتشرت بين أفراد الشعب معرفة القراءة والكتابة، بينما كان لا يعرفها أرفع الناس في أوربا باستثناء رجال الدين، وقد بَنَى الحكم مدرسة لتعليم الفقراء مجانًا، كما أسس جامعة قرطبة أشهر جامعات العالم آنئذ، وكان مركزها المسجد الجامع، وتدرس في حلقاتها كل العلوم ويختار لها أعظم الأساتذة.

وقد احتلت حلقات الدرس أكثر من نصف المسجد، وتم تحديد مرتبات للشيوخ ليتفرغوا للدرس والتأليف، كما خصصت أموال للطلاب ومكافآت ومعونات للمحتاجين، ووصل الأمر بنفر من الأساتذة إلى ما يشبه منصب الأستاذية اليوم في مجالات علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنحو، وعهد الحكم المستنصر إلى أخيه المنذر بالإشراف على جامعة قرطبة ، كما عهد بمهمة الإشراف على المكتبة الأموية إلى أخيه عبد العزيز.

يقول "فندث بيدال" العالم الأسباني الكبير – يقول: «وصلت الخلافة الأندلسية في ذلك العصر إلى أوج روعتها وبسطت سيادتها السلمية على سائر إسبانيا وكفلت بذلك السكينة العامة». وتوفي الحكم في (2 صفر 366هـ / 30سبتمبر 976م) ، و قد أخرجت لنا قرطبة الكثير من العلماء في جميع المجالات، أمثال: ابن عبد البر ، و ابن حزم الظاهري، وابن رشد ، والزهراوي، والإدريسي، والعباس بن فرناس، والقرطبي وغيرهم.

ظلت قرطبة تنعم بهذا التفوق على سائر مدن إسبانيا زمنًا إلى أن سقطت الخلافة الأموية عام (404 هـ/1013م) ، حين ثار جند البربر على الخلافة ودمروا قصور الخلفاء فيها وهدموا آثار المدينة وسلبوا محاسنها ، ومنذ ذلك الحين انطفأت شعلة تفوقها وانتقلت مكانتها السامية إلى أشبيليه، و يعد المسجد الجامع أهم تحفة معمارية أنشئت في عهد عبد الرحمن الداخل ، ولا يزال

مسجد قرطبة الجامع باقيًا حتى اليوم بكل أروقته الإسلامية ومحاريبه، وقد تحول إلى كاتدرائية بعد الاستيلاء على قرطبة ، بعد إزالة كثير من قباب المسجد وزخارفه الإسلامية.

ورغم هذه الظروف التي مرت بها إلا أنها استطاعت أن تحتفظ ببعض من تفوقها ، حتى سقطت بيد فرناندوا الثالث في يوم 23 شوال سنة 633هـ، وحزن المسلمون لسقوطها حزنًا عظيمًا، وتحول مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة، وهجرها عدد كبير من المسلمين، وطويت صفحة حضارية عظيمة للمسلمين امتدت أكثر من خمسة قرون في هذه المدينة .

2 ـ بلنسية:

بلنسية مدينة، يلفظ اسمها بسين مهملة مكسورة، وياء خفيفة. وتسمى بلنسية أيضًا (مدينة التراب)، ربما لخصوبة تربتها، و(مطيب الأندلس)، لكثرة رياحينها، و(بستان الأندلس)، لتنوع أشجارها وكثرتها، وتقع مدينة بلنسية في شرقي الأندلس قرب ساحل البحر المتوسط على بعد أربعة كيلومترات منه، وتحدها طليطلة من الغرب، وطرطوشة من الشمال، ومرسية من الجنوب، وهي شرقي قرطبة ، وشرقي تدمير. وبينها وبين تدمير أربعة أيام، ومنها إلى طرطوشة أربعة أيام أيضًا. وكان موقعها عند الفتح الإسلامي مرسى صغيرًا يسمى فالنثيا(Valencia) ، وهو الاسم الذي أصبح المسلمون ينطقونه بلنسية، وتتوسط بلنسية سهلًا زراعيًا شديد الخصوبة يمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط. ويرتوي هذا السهل من شبكة نهرية تتفرع من النهر الأبيض. ويعتبر أحد فروعه، وهو نهر توريا المسمى النهر الأحمر، نهرها الرئيسي. ويصب هذا النهر في البحر المتوسط شمال بلنسية.

ولما كانت بلنسية عند الفتح الإسلامي مجرد مرسى صغير، فإن المؤرخين المسلمين لم يذكروا تاريخًا محددًا لفتحها. لكن يفهم من الإشارات التاريخية أنها فتحت سنة 94هـ/ 714م على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير في عهد أبيه، وربما فتحها في أثناء ولايته على الأندلس التي دامت سنتين (95 – 97هـ/ 713 – 715م)، وأصبحت بلنسية في العهد الإسلامي مدينة كبيرة مسورة بسور متين مبني بالحجر والطوابي عليه عدة أبراج دفاعية، وفيه ثمانية أبواب، وضمت المدينة مسجدًا جامعًا ودارًا للإمارة، وعددًا من الأسواق المزدهرة، إضافة إلى الأرباض والأحياء.

3 ـ غرناطة: تعد غرناطة واحدة من مدن الأندلس التي دخلها الفتح الإسلامي في عام 91هـ، بعد أن استطاعت جيوش الفتح الإسلامي بقيادة طارق بن زياد هزيمة القوط، وقتل الملك «لذريق»

في واحدةٍ من أكبر المعارك في التّاريخ الإسلامي، إذ إنّ طارق بن زياد عبر البحر من مدينة سبتة المغربية بعد فتحها، ونزل في الجزيرة الخضراء على شواطئ الأندلس، والتقى بالجيش القوطي هناك وهزمه وتابع زحفه لتتساقط على يده الإمارات الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، وكان من بينها غرناطة التي دخلها جند دمشق، وثبتوا فيها.

تقع غرناطة في الجنوب الشرقي لإسبانيا، وهي تتبع مدينة البيرة، وقد كانت قبل الفتح الإسلامي مدينة صغيرة يسكنها المسيحيون القوط واليهود، لكن بعد أن سقطت عام 92هـ بدأ المسلمون في استيطانها، وتحالفوا مع اليهود لتكوين حاميةٍ لها، وقد بقيت غرناطة جزءا من البيرة حتى عصر ملوك الطوائف، إذ بدأ الاهتمام بها بعد أن استولى عليها زاوي بن زيري مؤسس الدولة الزيرية في غرناطة، الذي اتخذ منها عاصمةَ ملكه عام 409هـ، فبدأ في توسعتها وتحسين أحوالها، وبناء الأسوار وتحصين دفاعاتها، لتتحول غرناطة من مدينة صغيرة من أعمال مدينة البيرة، إلى واحدةٍ من أهم مدن الأندلس، وأكثرها ازدهارًا، ضمت داخلها عشرة أحياء كبيرة، كان واحدٌ منها لليهود، أما مدينة البيرة فقد منيت بالخراب، بعد تأسيس غرناطة، إذ قلَّ الاهتمام بها وأصبحت على الهامش، وبدأ أهلها بتركها للانتقال إلى غرناطة التي سمِّيت بِـ«دمشق الأندلس».

وقد بقيت غرناطة تحت حكم الزيريين إلى أن جاء المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين بدعوةٍ من صاحب إشبيليَّة المعتمد بن عبَّاد، الذي أحاط به القشتاليُّون، وعزموا على احتلال بلاده، فاستدعى المرابطين مرَّتين، إلا أنّ المرابطين ارتأوا أن يثبتوا وجودهم في الأندلس الضعيفة، بعد أن عرفوها وحفظوا جغرافيتها، وخبروا نقاط الضعف فيها، فأسقطوا ملوك الطوائف وممالكهم، ووحَّدوا الأندلس تحت حكمهم، فكانت غرناطة أول مدينة أُسْقطت، لِما بدا مِن أميرها مِن تخاذل في نصرة المرابطين أثناء قتالهم القشتاليِّين في معركة الزَّلاقَة، وفي حصار طليطلة، إضافة إلى أن أن فقيه غرناطة ابن القليعيّ أفتى ليوسف بن تاشفين بضرورة خلع حكَّام الأندلس وتوحيدها على أن يبدأ بغرناطة لكثرة الفساد فيها، فدخلها عام 430هـ، وأسر ملكها عبد الله الزيري، وسلبه ما لديه من أموال، ثم نفاه إلى قرية أغْمات في المغرب.